الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

عظة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في اللقاء مع المؤمنين وممثّلي التّقوى الشّعبيّة

في الحديقة الأثريّة الوطنيّة في ساكساياوامان (Saqsaywaman)، كوسكو (Cusco)

الأحد 15 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

في مستهلّ هذا اللقاء، أودّ، قبل كلّ شيء، أن أعبّر عن شكري لله من أجل حياة وخدمة صاحب السّيادة المطران ريتشارد دانيال ألاركون أوروتيا (Richard Daniel Alarcón Urrutia)، رئيس أساقفة كوسكو، الذي بذل جهودًا كبيرة من أجل هذه الزّيارة، وكنت أتوق إلى لقائه عند وصولي إلى هنا. وإذ أتّحد مع جميع إخوتي الأساقفة، أؤكّد صلاتي من أجل راحة نفسه الأبديّة، وأبتهلُ إلى ربّنا يسوع المسيح أن يمنحه مكافأة الأبرار، ويهب جميع الذين يتألّمون لفقدانه العزاء الذي ينبع من الإيمان بالمسيح القائم من بين الأموات.

لا شكّ في جمال هذا المكان الذي يستقبلنا في هذا الصّباح. فساكسايوامان (Saqsaywaman) هي مثل مذبح من حجارة، يرتفع نحو سماء جبال الأنديز، حيث كان القدّماء يصعدون بحثًا عن الإله. غير أنّ إيماننا المسيحيّ أتاح لنا أن نفهم أنّ الله هو، في الحقيقة، مَن نزل باحثًا عن أبنائه وبناته، ودخل القلب المستعدّ لاستقباله، طالبًا منه كلمة "نعم" شُجاعة وبسيطة، على مثال مريم العذراء، التي غيّرت التّاريخ إلى الأبد.

في الواقع، بدأنا احتفالنا الليتورجيّ بالأنتيفونة: "السّلام عليكِ، يا أمّا قدّيسة، يا عذراء وأمّ الملك، الذي يسود على السّماء والأرض إلى دهر الدّهور" (*كتاب القدّاس الرّوماني، قدّاس لمريم العذراء الكلّيّة القداسة*، القسم الأوّل، الزّمن العادي، 1، *الأنتيفونة الافتتاحيّة*). أمّا الإنجيل الذي أصغينا إليه قبل قليل، فقد ذكّرنا بفرح مريم حين قالت "نعم" للملاك، لتكون أمّ الله وتهب يسوع للعالم.

تدعونا هاتان القراءتان إلى أن نتأمّل في مريم العذراء بكونها تلك التي تقودنا إلى اللقاء بالمسيح. فهي نفسها انتظرته بكونه المسيح المنتظَر، في كنف عائلة تقيّة علّمها فيها والداها الصّلاة والتأمّل في كلمة الله والعيش بحسب شريعة العليّ. هكذا وجدت نفسها مستعدّة للقاء الله، ومتنبّهة وحاضرة، وقادرة على أن تعرف صوته في الملاك الرّسول، مبعوثه، وعلى أن تقبل التحدّي في رسالة فريدة من أجل خلاص البشريّة.

جاء الله ليكلّمها في بيتها في النّاصرة، وسط تفاصيل الحياة اليوميّة، وبالقرب من أحبّائها، وفي بيئة تزخر بالرّموز التي كانت تعرفها جيّدًا، وبلغتها، وبعلامات ثقافتها. هكذا يعمل الله. فهو يبحث عن الأشكال والأوقات الأنسب ليقترب منّا، لكي يتمكّن الجميع من لقائه، وفهم كلماته، والاهتداء إليه، ونيل الخلاص. وعلى مدى آلاف السنين، هذا السّرّ تجدّد في سياقات شديدة التنوّع، ولكن مع استعداد الله القدير الدّائم لأن يصير صغيرًا من أجلنا، لكي يكلّمنا ويعانقنا. ومن أجمل الأشكال التي تجلّى فيها هذا الأمر التّقوى الشّعبيّة.

في هذه التّقوى، تتجلّى ذكرى الأجداد، وإيمان العائلات، والمحبّة ليسوع المسيح، والثّقة بأمّه القدّيسة، وإكرام القدّيسين، بالموسيقى والرّقص والصّور المقدّسة، والعديد من المظاهر الأخرى التي تميّز تاريخ الشّعوب وهويّتها. ومن ثمّ، فإنّ الاحتفال الدّينيّ، والحجّ، والتّطواف، ليست مجرّد مظاهر ثقافيّة، إذ إنّ وراء كلّ صورة مقدّسة، وكلّ ترنيمة، وكلّ نذر، وكلّ علامة، جماعةً من القلوب التي تبحث عن الله، وصوتًا صديقًا يجيب من السّماء ويقترب منها.

من هنا، التّقوى هي أن نعيش ممارسات التّقليد بكونها فرصًا للقاء الربّ والإعلان عنه، أوّلًا في الرّعايا والأخويّات والحركات الكنسيّة، ثمّ في العالم، كمبشّرين بالإنجيل، لإعلان المسيح القائم من بين الأموات، ومستعدّين للشهادة لفرح معرفة الإنجيل وعيشه في محبّة الله والقريب. لهذا، وصف البابا فرنسيس التّقوى الشعبيّة بأنّها "تعبير حقيقيّ عن العمل الرّسوليّ العفويّ لشعب الله" (الإرشاد الرّسوليّ، *فرح الإنجيل*، 122)، و"مظهر من مظاهر حياة لاهوتيّة يحييها عمل الرّوح القدس الذي أُفيض في قلوبنا (راجع رومة 5، 5)" (*المرجع نفسه*، 125).

غير أنّ هناك جانبًا آخر من الرّواية الإنجيليّة التي أصغينا إليها قبل قليل أودّ أن أتوقّف عنده، وهو السّياق الجماعي الذي يندرج فيه سرّ البشارة. كما ذكرنا، نمت مريم في الإيمان بعيشها في جماعة، وبعد البشارة، واصلت مشاركتها الحياة اليوميّة مع الإخوة والأخوات الذين يحيطون بها. فاللقاء بالله لم يعزلها ولم يبعدها عن الآخرين، بل العكس، جعل منها حارسة لعطيّة تنمو فيها من أجل خير الجميع: مواطنيها والبشريّة جمعاء. فالإيمان لا يفصل، بل يوحّدنا بالله وبالآخرين.

هذا أمر بالغ الأهمّيّة، ولا سيّما في زمننا هذا، الذي تطبعه الانقسامات والجِراح وانعدام الثّقة، والظّروف التي تجعل من الصّعب على الرّجال والنّساء أن يعترف بعضهم ببعض كأعضاء في عائلة واحدة، وأبناء وبنات للأب نفسه.

في هذا السّياق، التّقاليد الدّينيّة يمكن أن تقدّم عونًا كبيرًا، باعتبارها أماكن يجتمع فيها النّاس على نور الإيمان والمحبّة. فالتّطواف يمكنه أن يجعل الذين يختلفون في أفكارهم يسيرون معًا. والحجّ يمكنه أن يجمع عائلات بأكملها. والاحتفال يمكنه أن يلمّ شمل جماعة. كما يمكن لعيد شفيع البلدة أن يتحوّل إلى فرصة للمصالحة، وطلب الصّفح، والبدء من جديد. وهذه علامة يمكن أن تتجاوز حدود مدينة صغيرة أو منطقة بأكملها، لتسهم في نشر ثقافة العيش معًا والاهتمام المتبادل والسّلام في العالم.

لذلك، أدعوكم إلى أن تجعلوا من هذه الاحتفالات مدرسةً للأخوّة والمحبّة، حيث تعملون وتصلّون وتفرحون معًا، وتهتمّون أيضًا بالمحتاجين، لكي يكون الفرح من نصيب الجميع، ولكي يتمكّن الجميع من عيشه متّحدين أمام الله.

التّقاليد الشّعبيّة، برموزها وممارساتها، المفعمة بقيم الوَحدة والشّركة والتّضامن المسيحيّ، هي كنز ثمين لا يُقدّر بثمن من التّعاليم الصّالحة، ولا سيّما للأجيال الجديدة. من هذا المنطلق، من المهمّ أن يشارك الشّباب والشّابّات في الأنشطة، وأن يُقبل إسهامهم ويُقدّر، بالإصغاء والتّعاون، وكذلك بالتّجديد والتّطوير عند الضّرورة. فمستقبل العادات والتّقاليد لا يقوم فقط على المحافظة على ما تلقّيناه، بل أيضًا على نقله بطريقة حيّة. إذ يرث كلّ جيل إرثًا، وتقع على عاتقه مسؤوليّة إعادته غنيًّا ومتجدّدًا، من دون خوف من فتح دروب جديدة واستخدام أدوات مستحدثة. بل إنّ الأهمّ

في هذا المسيرة، مريم تحتلّ مكانة خاصّة. فالتّقوى الشّعبيّة في البيرو هي أيضًا تقوى مريميّة عميقة، وتشهد على ذلك حدائق الفاتيكان، حيث باركتُ في السّنة الماضيّة الفسيفساء التي تمثّل الألقاب والصّور المختلفة لسيّدتنا مريم العذراء التي ترافق بها هذا الشّعب، وتعرف أفراحه وأحزانه، وتعلّمه أن يحيا الرّجاء.

يذكّرنا بذلك أيضًا، بصورة رائعة، نشيد هاناقباتشاب (Hanacpachap)، الذي ألّفه المرسَل بيريس بوكانيغرا (Pérez Bocanegra)، والذي يسبّح مريم العذراء ويبتهل إليها باستعارات شعريّة تتّسم، في آنٍ واحد، بعمقها اللاهوتيّ وواقعيّتها، وبقربها من ثقافة جبال الأنديز وحياة أهلها. هذا النّشيد يُظهر لنا، إلى جانب التحفة الفنيّة التي تجسّدها كنيسة القدّيس بطرس الرّسول في أنداهوايلياس (Andahuaylillas)، وشواهد أخرى على إعلان البشارة بأسلوب خلّاق ومراعٍ للخصوصيّات الثّقافيّة، كيف يجد كلّ تعبير من تعابير التّقوى معناه حين يجمع الجميع حول يسوع، ويقودهم إلى السّماء، وهم سائرون على خطاه. لهذا، أودّ أن أوكل إلى سيّدتنا مريم العذراء، ملكة بيت لحم، وأمّ كوسكو وحاميّتها، مسيرة تجدّد التّقوى الشّعبيّة.

بعد قليل، سنقوم بذلك معًا، متّحدين روحيًّا، من خلال تقديم الوردة الذّهبيّة إليها، طالبين منها أن تحفظنا في قلبها، وتمنح السّلام لهذه الأرض، وتقوّي المتألّمين، وتهبنا جميعًا نعمة السّير معًا في محبّة ابنها. هذا ما نسأله بشفاعتها. آمين.

****

2026 نايكيتافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana